﴿*وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

[النّساء: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقة بين الترهيب من التقاعس عن الهجرة، والبشارة بما يؤول إليه المهاجر

لَمَّا رَهَّبَ اللّٰهُ تعالى مِن تَركِ الهِجْرةِ من بلاد الكفرِ إلى بلاد الإسلامِ؛ رَغَّبَ في هذه الآية بما يُسلِّي عمَّا قد يَقذِفُهُ الشَّيطانُ في قلوبِ العبادِ مِنْ أنَّه لوفارقَ رَفاهيَةَ الوطنِ وقع في شِدَّةِ الغُربةِ وضِيقِ العيشِ، وأنَّه ربَّما تَحمَّلَ مَشقَّةَ الخروجِ مِنْ بلَدِهِ بقَصدِ الهجرةِ الشَّرعيَّةِ، فيموتُ قبلَ بلوغِ مَقصِدِه، فيكونُ قد ضيَّعَ رفاهيَةً مُتحقِّقَةً لمصلحةٍ مُتوهَّمَةٍ[1]؛ فذكر أنّه بهجرته مناصرة للحقّ وتأييدا له، سيجد فى الأرض الّتى يسير فيها، مواضع كثيرة، يرغم بها أنف أعداء الحقّ، ويجد سعة الحريّة والإقامة العزيزة، وله بذلك الثّواب والأجر العظيم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُرَٰغَمًا﴾: المُراغَم: السّعة والمضطرب، والمذهب والمهرب[3]، والرَّاءُ والغينُ والميمُ تَرجِعُ اشتقاقاتُها إلى معنَيَيْنِ: التُّرابِ والمَذْهَبِ، فَمِنَ الأوَّلِ: الرَّغَامُ؛ وهو التُّرابُ، ومِن الثَّاني: المُراغَمُ؛ وهو المَذْهَبُ والمَهْرَبُ[4]، وأصلُ المُراغَمَةِ: الهِجرانُ، فالمُراغَمُ والمُهاجَرُ: بمعنًى

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/198، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 5/375.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 127.
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (رغم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رغم).

واحدٍ، وسُمِّيَ المَذْهَبُ والمَهرَبُ: مُراغَمًا؛ وذلك أنَّ الرَّجُلَ كان إذا أسْلَمَ خَرَجَ عَن قومِهِ مُراغِمًا لهم؛ أي: مُغاضِبًا ومُهاجِرًا مُقاطعًا[1]، وتقول: (فعل ذلك على الرّغم من أنفه)، و(رغم أنفي للّه ﷻ)، قلت: معناه ذلّ وانقاد لأن أمسّ به التّراب[2]، ومن هذا البابِ المُراغَمُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾؛ فإنَّ المعنى: يجد مُهَاجَرا يُهاجِر إليهِ[3]، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ (مُرَاغَما) جامعًا بين الأصلِ؛ فهو يَجدُ مَذهبًا ومَهربًا ومهاجَرًا، وفي ذلك المكانِ تَحصُلُ له مُراغمةُ الأعداءِ، أي: إلحاقُ الذُّلِّ والهَوانِ بِهِمْ، حتَّى كأنَّ أنوفَهم تَلْصَقُ بالتُّراب لهَوانِهم[4].

2) ﴿يُدْرِكْهُ﴾: االإدراك: اللّحوق. يقال: مشيت حتّى أدركته، وعشت حتّى أدركت زمانه، وأدركته ببصري، أي رأيته[5]، والدَّالُ والرَّاءُ والكافُ تَدُلُّ اشتِقاقاتُها على لُحُوقِ شَيءٍ بشَيءٍ، ووُصُولِه إليهِ[6]، ومِنْهُ: تَدارَكَ القومُ؛ إذا لَحِقَ آخرُهم أوَّلَهم، كما في قول اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38].والدَّرَكُ: لَحَاقُ المُطارِد بالمُطارَد[7]، ومِنْهُ قول اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ ٱلْمَوْتُ﴾، كأنَّ الموتَ يُطارِدُ العبدَ حتَّى يُدْرِكَهُ، ولذا قال النّبيُّ ﷺ: "لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرَبُ مِنَ المَوْتِ؛ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ المَوْتُ"[8].

3) ﴿ٱلْمَوْتُ﴾: وهو ضدّ الحياة، وقد مات يموت ويمات أيضا، وأصل ميت مَيْوَتٌ على فَيْعَلٌ، ثمّ أدغم، ثمّ يخفّف فيقال ميت. قال الشّاعر وقد جمعهما في بيت:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ *** إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ[9]

والميمُ والواوُ والتَّاء تدورُ تصريفاتُها على ذَهابِ القوَّة في الشَّيءِ، ومِنْهُ: الموتُ؛ وهو

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 117.
(2) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (رغم).
(3) ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن: 1/401.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/376.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (درك).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (درك).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (درك).
(8) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء 7/90، وحسَّنه الألبانيّ في سِلسلة الأحاديث الصَّحيحة (952) وصحيح الجامع (5232).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (درك).

ضدُّ الحياةِ[1]، ومِنْهُ قِيل لسُكون الرِّياحِ: مَوْتٌ[2]، وقيل: ماتتِ النَّارُ؛ إذا خَمَدَت[3]، ومِنْ هذا البابِ قولُ النَّبيِّ ﷺ عنِ الثُّوم والبصل: "مَنْ أَكَلَهُمَا فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا"، وَقَالَ: "إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ آكِلِيهِمَا فَأَمِيتُوهُمَا طَبْخًا"[4]؛ فإنَّ حياةَ هاتَين الشَّجرتَين يُرادُ بهما قوَّةُ رائحتِهما، عندَ طَرَاوَتِهما، بخلاف موتِهما؛ فإنَّهُ إزالةٌ لِتِلْكَ الرَّائحةِ بالطَّبْخِ[5]، والموتُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾، بمعنَى قَبْضِ الرُّوحِ قبضًا لا رَجعةَ لصاحبِهِ في هذه الحياةِ الدُّنيا؛ ولا حاجةَ إلى التعمُّقِ في البَحْثِ عَنْ حقيقةِ الموتِ؛ ولذا قال محمّد رشيد رضا: "ومِنَ العَبَثِ والجهلِ: البحثُ في تعريفِ المَوْتِ، فالمَوْتُ هُو الموتُ المعروفُ لِكُلِّ أحدٍ[6]".

4) ﴿وَقَعَ﴾: يُقَالُ: وَقَعَ الشَّيْءُ وُقُوعًا فَهُوَ وَاقِعٌ[7]، أي سقط من أعلى إلى أسفل، والواوُ والقافُ والعَينُ تَدُلُّ اشتقاقاتُها على سُقوطِ شَيءٍ[8]، ثُمَّ استُعْمِلَ في لازِمِهِ، وهو الثُّبوتُ واللُّزومُ[9]، كالواردِ في قول الله سبحانه: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، أيْ: ثَبَتَ وحصلَ وَوَجَبَ[10]، ومعنى اللّفظ في السّياق: ﴿وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، أيْ ثبت أجره عند الله تعالى، ثبوت الأمر الواجب[11]، وفيه إشارة إلى أنّ أجر المجاهد "لا يفوته أبدا، ولا يخطئه أبدا، لأنّه أجر مضاف إلى الله، بالوعد الّذي وعده سبحانه للمجاهدين، ولن يخلف الله وعده!"[12].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (موت).
(2) الصَّغانيّ، التَّكملة والذَّيل والصّلة: (موت).
(3) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (موت).
(4) رواه أحمد، الحديث رقم: (16247)، وأبو داود، الحديث رقم: (3827)، والنَّسائي في الكبرى، الحديث رقم: (6647)، وهو صحيح كما في تخريج المشكاة: (736).
(5) الطِّيبيّ، الكاشف عن حقائق السُّنن: 3/953.
(6) رضا، تفسير المنار: 4/222.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقع).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وقع).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (وقع).
(10) النَّسفي، مدارك التَّنزيل: 1/389، والمراغي، تفسير المراغي: 5/131.
(11) الآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال: "اللّهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك ﷺ" فمات، ينظر: البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 2/93.
(12) عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: 3/881.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

من يهاجر بصدق وإخلاص، يجد فرجًا ورعاية من ربّ النّاس

ومَنْ يُفارِقْ أرضَ الشِّرْكِ وأهلَهَا، فِرارًا بدِينِه منها ومِنْهُمْ إلى أرض الإسلام وأهلِها المسلمين، قاصِدًا وجهَ اللّه تعالى راجيًا فضلَهُ؛ يَجِدْ في الأَرض مكانًا يَنعَمُ فيه بِمَا يكونُ سببًا في قُوَّتِه وذِلَّة أعدائِه، مَعَ سَعَةٍ في رزقِه، وهَناءٍ في عَيشِه، ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ أرضِ الشِّركِ فارًّا بدِينِه إلى دار الإسلام، ثُمَّ تُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ قبلَ بلوغِه دارَ الإسلام؛ فقدْ ثَبَتَ له ثوابُ عملِه، وجزاءُ هجرتِه وفراقِ وطنِه وعشيرتِه، فَضلًا مِنَ اللّه تعالى وإحسانًا، وكان اللّه سبحانه ساتِرًا ذنوبَ عبادِه، رحيمًا ورفيقًا بهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلَالَةُ الخَبَرِ على التَّرْغِيبِ وَتَحْرِيكِ الهِمَّةِ إِلَى مَا يَلْزَمُ تَحْصِيلُهُ:

التَّرغيبُ في الهِجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الكُفْرِ إِلَى بِلادِ الإِسْلامِ

قولُ اللّه تعالى: ﴿۞وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ جملةٌ خبريَّةٌ، يُرادُ بها: التَّرغيبُ في الهجرة، والتَّأنيسُ لها، وتحريكُ الهِمَّةِ نحوَها، ووَقَعَ التَّرغيبُ بطريقِ الخبَرِ دون الأمرِ؛ لتأكيدِ التَّرغيبِ؛ إذْ فيه إشعارٌ بكونِ ذلكَ المُهَاجَرُ إذا وَصَلَ إليه المُهاجِرُ؛ سَيجِدُ قَطعًا وحَتمًا مِنَ الخَيْرِ والنِّعمة، ما يكونُ سببًا لإرْغامِ أنوفِ قومِه الّذين تَرَكَهم[2].

بَلَاغَةُ الِاسْتِعَارَةِ في قولِهِ: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

مِنْ بَلاغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ تَرْشِيحُ الأَلْفاظِ بِأَلْفاظٍ تُنَاسِبُها

السَّبيلُ في قولِه تعالى: ﴿۞وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جِيءَ به على طريقِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ، وهي استعارةٌ مشهورةٌ، وزادَها قبولًا واستحسانًا ذكرُ المُهاجَرَةِ معها، وهي نوعٌ من السَّيْرِ يُناسِبُها ذِكْرُ السَّبيلِ؛ لافتقارِ السَّيرِ إلى طريقٍ يُسارُ عليه، فكان في ذِكْرِ السَّبيلِ ضَرْبٌ مِنَ التَّورية[3].

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 9/112 - 113، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 3/279 - 280، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 94.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/224، والآلوسّي، روح المعاني: 3/123.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/180.

سِرُّ تَقْدِيمِ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ في قولِهِ: ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾:

الاِسْتِقْرَارُ فِي الأَرْضِ أَعْظَمُ مَا يُرِيدُهُ المُهَاجِرُ

تقديمُ الجَارِّ والمجرورِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على ﴿مُرَٰغَمًا﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿*وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾؛ لأنَّ نَفْسَ المُهاجِرِ بعد تركِهِ أرضَهُ ووطَنَهُ تطمَحُ وتَتَطلَّعُ إلى الاستقرارِ في الأرضِ[1]، وأمَّا المُراغَمُ والسَّعَةُ فرِبْحٌ زائدٌ على رأسِ المالِ، ولن يجد المهاجر إلّا السّعة من اللّه، والشّاعر يقول:

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا *** وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ[2]

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ المُرَاغَمَةِ عَلَى السَّعَةِ، في قوله: ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾:

لَذَّةُ الرُّوحِ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ البَدَنِ، والسِّرُّ كلُّ السِّرِّ في الأرواح

قُدِّمَ ذِكرُ مراغَمَةِ الأعداءِ على ذكر سعةِ العَيْشِ؛ لنُكتَتَيْنِ[3]: الأُولَى: أنَّ في مُراغمَةِ الأعداءِ لذَّةَ الرُّوحِ، وفي سَعَةِ العيشِ لذَّةَ البدنِ، ولذَّةُ الرُّوحِ أعزُّ وأعظَمُ.والأخرى: أنَّ ابتهاجَ الإنسانِ الّذي تَرَكَ بلَدَهُ، بسببِ شِدَّةِ ظُلمهم وقَهْرِهم لَهُ بدَوْلَتِهِ، من حيثُ إنَّها تَصيرُ سببًا لإرْغامِ أُنوفِ الأعداءِ: أَشَدُّ من ابتهاجِهِ بتِلْكَ الدَّولةِ من حيثُ صيرُورَتِها سببًا لسَعَةِ العَيْشِ عليه.

دَلَالَةُ تَنْكِيرِ ﴿مُرَٰغَمًا﴾ وَ﴿وَسَعَةً﴾:

الثَّمَرَاتُ الجَلِيلَةُ لِلْهِجْرَةِ إِلَى بِلَادِ الإِسْلَامِ

تَنْكِيرُ ﴿مُرَٰغَمًا﴾ وَ﴿وَسَعَةً﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ يُرادُ به التَّعظيمُ والتَّكثيرُ، فيكونُ وصفُ المُراغَمِ بالكَثير في قوله: ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ بمنزلةِ التَّأكيدِ المعنويِّ لَهُ، وهو مُراغَمٌ عظيمٌ أيضًا. ووَصْفُ الكَثْرَةِ مُرادٌ مع السَّعَةِ، إلَّا أنَّهُ حُذِفَ اكتفاءً بوصفِ المُراغَمِ به، والتَّقديرُ: يَجِدْ في الأرض مُراغمًا كثيرًا، وسعةً كثيرةً، فالمُراغَمُ والسَّعَةُ موصوفانِ بالكثرةِ والعظَمَةِ؛ مِقْدَارًا وقَدْرًا، والمعنى: "ومن يهاجر ويترك دار إقامته في سبيل

(1) البنّاني، سورة النّساء: دراسة بلاغيّة تحليليّة، ص: 218.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: (الخواطر): 4/2583.

(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/198، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/376، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/279.

اللّه تعالى، طالبا ما عنده يجد طرائق كثيرة في الحياة، وإن كان لَا ينالها إلّا ببعض المشقّة، فإنّها قنطرة للرّاحة، وكذلك ينال سعة في رزقه وحياته ودينه، فلا يُضَيَّق في دينه عليه، ولا يعيش في ذلّة وهوان، أو مقتّرا عليه في الرّزق"[1].

بَلَاغَةُ الِاسْتِعَارَةِ في قولِهِ: ﴿وَسَعَةً﴾:

إدْرَاكُ الحِسِّيَّاتِ أَسْهَلُ مِنْ إدْرَاكِ المَعْنَوِيَّاتِ

السَّعَةُ ضِدُّ الضِّيقِ، وتُطْلَقُ حقيقةً على اتِّساعِ الأمكنةِ، وإطلاقُها على رفاهيَةِ العَيْشِ مجازٌ بالاسْتِعارَةِ[2]؛ ونُكتَتُها: تَصويرُ كثرةِ رِزْقِهم تصويرًا حِسِّيًّا يَقْرُبُ مِنَ الأذهانِ؛ لأنَّ إدراكَ المحسوساتِ أسهلُ للنَّفْسِ من إدراك المعاني.

ودَلَّ على كَثْرَةِ رِزْقِهم أيضًا: عدمُ تقييدِ السَّعَةِ، فلم يَرِدْ: سَعَة في المآكل، أو في المشاربِ، أو في حُصُول الأمنِ لهم؛ وذلك لِتَذْهَب النَّفسُ في تصوُّرِ السَّعَةِ كُلَّ مَذْهَبٍ، ولِيشمَلَ ذلك كُلَّ سَعَةٍ مِن مرغوباتِهم ومحبوباتِهم.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ دُونَ (وَمَنْ يُهَاجِرْ):

عَظِيمُ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، لايُعدُّعددًا، ولا يُحصى مددًا

وَرَدَ قولُ اللّه سبحانه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ على خلاف مُقْتَضَى الظَّاهرِ؛ فإنَّ مقتضَاه أنْ يُقالَ: (ومَنْ يُهاجِرْ إلى اللّه ورسولِه) دون ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾؛ لأنَّ قبلَها قوله تعالى: ﴿*وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والنُّكْتَةُ في ذلك: بيانُ أنَّ الجزاءَ المذكورَ في قوله ﷻ: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ مُترتِّبٌ على مجرَّد الخروجِ من البيتِ بقصد الهجرةِ؛ ولو لم يُباشِرِ الهجرةَ بالفعلِ[3]، بخلاف ما لو قيلَ: ﴿*وَمَن يُهَاجِرْ﴾؛ فإنَّه يكونُ خاصًّا بِمَنْ باشَرَ الخروجَ مِن بَلَدِه، ولم يصِلْ إلى مُهَاجَرِه، والأوَّلُ أدخَلُ في بيان سَعَةِ فضلِ اللّهِ سبحانَه على العبادِ.

(1) أبو زهرة: زهرة التّفاسير: 4/1822.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/180.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 3/123 - 124.

سِرُّ اخْتِيَارِ لَفْظِ البَيْتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾:

تَـرْكُ المُهَاجِرِينَ رَغَـدَ العَـيْـشِ ابْتِـغَاءَ مَـرْضَـاةِ اللهِ تَعَالَى، من أجلِّ الطّاعة

في اختيارِ ﴿بَيْتِهِۦ﴾ إشادةٌ بعِظَمِ مجاهدَةِ هؤلاءِ المهاجرين لأنفسِهم؛ حيثُ تَرَكُوا أعزَّ ما لديهم وهو البيتُ، وما يُشعِرُ به هذا اللَّفظُ (البيت) من معاني الرَّاحةِ والدَّعَةِ والأنسِ بالأهلِ والولدِ، كلُّ ذلك تركوه في سبيل اللّه تعالى، وابتغاءَ مرضاتِه[1]، ولو حُذِفَ ﴿مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ فجاءَ النَّظْمُ: (ومَنْ يَخرُجْ مُهاجِرًا)؛ لأدَّى ذلك أصلَ المعنَى مع قُصورٍ؛ إذ قد يُتوهَّمُ أنَّ المهاجِرَ خرجَ مِن ضِيقِ عَيْشٍ ومشقَّةٍ لم يَتَحمَّلْها، فطلبَ بهجرتِهِ الدُّنيا مع إرادتِهِ وجهَ اللّهِ تعالى، فجاءَ التَّعبيرُ القرآنيُّ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾؛ للإشعارِ بأنَّه كان في سكينَةٍ وأمانٍ، وعَيْشٍ مع أهلٍ وولدٍ، ومعَ ذلك ترَكَ ذلك كُلَّهُ قاصدًا الهجرةَ، ولا يكونُ ذلك إلَّا لأنَّه مَحَّضَ هجرتَهُ لتكون خالصةً لوجهِ اللّه تعالى، لا يُريد بها شيئًا مِنَ الدُّنيا وحطامِها.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ دُونَ (يَمُتْ):

لَا يَـمْـنَـعُ المُـهَـاجِـرِيـنَ فِي سَـبِـيـلِ الـلـهِ تَعَالَى مِنْ نَعِيمِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ

التَّعبيرُ بـ ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ دون (ثمّ يَمُتْ) فيه إشعارٌ "بمَزِيدِ الرِّضا مِنَ اللّه تعالى، وأنَّ الموتَ كالهَدِيَّةِ مِنْهُ سُبحانه له؛ لأنَّه سببٌ لِلْوُصُولِ إلى النَّعيم المُقيم الّذي لا يُنَالُ إلَّا بالموت"[2]، ولِذَا وقعَ التَّعبيرُ بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدَّالَّةِ على التَّراخي؛ تأكيدًا لتلكَ النُّكْتَةِ، وأنَّ مرتبةَ الخُروجِ مِن بيتِهِ دون هذه المرتبَةِ؛ لِما فيها مِنْ تحقيقِ الغايةِ مِنَ الهجرةِ، وهو الوصولُ إلى رِضا اللّه تعالى، الموجبِ للنَّعيمِ الأبديِّ.

دَلَالَةُ الجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾:

المُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللهِ تعالى ظَافِرٌ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ

الجملةُ في قول اللّه تعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يُرادُ بها بَعْثُ الطُّمأنينَةِ في قلوبِ المهاجرينَ، وتحفيزُهم على الهجرة وحَثُّهم عَلَيْهَا؛ فإنَّهم ظافرُونَ في كلِّ الأحوالِ، إنْ وَصلوا إلى مهاجَرِهم؛ فقد

(1) البنّاني، سورة النّساء: دراسة بلاغيّة تحليليّة، ص: 264.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 3/124.

رَاغَمُوا أنوفَ أعدائهم، ووَسَّعَ اللّٰهُ تعالى عليهم مِنْ رِزقه، وإنْ ماتوا قبلَ وصولهم؛ تفضَّل اللّٰه سبحانه عليهم بثواب المهاجرين كامِلًا، وجَزَاهُم على ذلك أجرًا عظيمًا، لا يَعلَمُ مِقدارَه إلّا اللّٰه تعالى[1].

دلالة استعمال الوقوع مكان السّقوط في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾:

"يقول للعبد: أنت عندما تهاجر إلى أرض اللّٰه الواسعة، إن أدركك الموت قبل أن تصل إلى السّعة والمراغم، فأنت تذهب إلى رحابي، والمراغم سبب من أسبابي، وأنا المسبّب.ولماذا يستخدم الحقّ هنا ﴿وَقَعَ﴾ بمعنى (سقط)؟، هو سبحانه يلفتنا إلى ملحظ هامّ: حيث يكون الجزاء أحرص على العبد من حرص العبد عليه، فإذا ما أدرك العبد الموت، فالجزاء يسعى إليه، وهو عند اللّٰه، ويعرف الجزاء مَن يذهب إليه معرفة كاملة"[2]، ووقوع الأجر على اللّٰه، ملمحٌ لطمأنة المؤمن المهاجر الّذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهجر مسقط رأسه، ومأوى أنسه، ليكون في ثقة بأنّ اللّٰه متكفّل به، ولم يكله إلى أحد سواه، فهو في حماية الّذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء، وفي عناية الّذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فهو بذلك مطمئنّ على حفظه في الدّنيا، وعلى جزائه في الآخرة.

من كان اللّٰه حسبه، كفاه كلّ مهمّة، ووقاه كلّ ملمّة

فائِدَةُ العُدُولِ عَنْ (يُثْبِهُ) إلَى قوله: ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾:

نُكتةُ العُدولِ عَنِ التَّعبير بـ (يُثْبِهُ) إلى ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾، ما في الثَّاني مِنَ الإيذان بلُزوم الأجر وثبوتِه، كما يَدُلُّ لذلكَ: ﴿وَقَعَ﴾؛ فإنَّها بمعنَى: ثبتَ ولَزِمَ ووَجَبَ، ويَدُلُّ لذلك أيضًا إضافةُ الأجرِ إلى ضميرِ المهاجر ﴿أَجۡرُهُۥ﴾، كأنَّ الأجرَ صارَ مِن مُختصَّاتِه الّتي في حيازَتِه.وفي قولِه: ﴿عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ إيماءٌ إلى عَظَمَةِ الأجرِ، وأنَّه

ثُبُوتُ أَجْرِ المُهَاجِرِ وَلُزُومُهُ وَعَظَمَتُهُ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/280.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: (الخواطر): 5/2588.

بالقَدْرِ الّذي لا يُدْرِكُ أحدٌ - غيرَ اللّه تعالى - كُنْهَهُ؛ لأنَّه مِنَ اللّه سُبْحانَهُ، المتَّصفِ بالجلالِ والجمال والعَظَمَةِ، والعَطيَّةُ والثَّوابُ يَعْظُمانِ بعظمَةِ المُعْطِي والمُثيبِ[1].

دَلَالَةُ حَرْفِ الجَرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾:

إيجابُ اللهِ تعالى على نفسِهِ إثابةَ المُهاجِرِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَكَرُّمًا

مِنْ معاني استعمالِ ﴿عَلَىٰ﴾: الدّلالةُ على الوجوبِ واللُّزوم، ولذا فإنَّ قولَ اللّه سبحانه: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: حقَّ له الأجرُ الجزيلُ عندَ اللّه تعالى، وقد تفضَّلَ اللّهُ (ﷻ) فأوجبَ ذلك الأجرَ على نفسِهِ العَليَّةِ؛ فإنَّ اللّه تعالى لا يجبُ عليهِ شيءٌ إلَّا ما أوجبَهُ على نفسِهِ تفضُّلًا مِنْهُ وتكرُّمًا، فصار قولُه: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ "كأنَّه صار وثيقةً على اللّه تعالى، وذلك كلُّه تأكيدٌ لِتَحَقُّقِ الأجرِ بهذه الهجرة[2]".

بَلَاغَةُ الاِسْتِعَارَةِ في قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾:

تصويرُ ثُبوتِ الأَجْرِ وَاسْتِقْرارِهِ تَصْوِيرًا حِسِّيًّا

في ﴿وَقَعَ أَجْرُهُۥ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ مَكنيَّةٌ؛ حيثُ شُبِّهَ الأجرُ بالطَّائرِ، فحُذِفَ المشبَّهُ به، وأُتِيَ بلازمٍ من لوازمِه وهو الوقوعُ، والقرينَةُ المانِعَةُ من إرادَةِ المعنى الحقيقيِّ للوقوعِ، وهو السُّقوطُ: عدمُ تأتِّي إسنادِ الوقوع للأجرِ؛ لأنَّ الوقوعَ من شأنِ الأجسامِ - في الأصل - لا المعاني، ونكتةُ الاستعارةُ: تصويرُ ثبوتِ الأجرِ واستقرارِهِ؛ فإنَّ مِنْ شأنِ الطَّيرِ أَنْ لا يَقَعَ ولا يَسْتَقِرَّ إلَّا في مكانٍ آمنٍ، والجامعُ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ: الاختيارُ الموفَّقُ في كلٍّ[3].

نُكْتَةُ ذِكْرِ (كَانَ) في قولِهِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

ذِكْرُ (كَانَ) في قول اللّه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ دُونَ

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 3/124.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1823.
(3) البنَّاني، سورة النّساء: دراسة بلاغيّة تحليليّة، ص: 443.

اتِّـصَـافُ اللـهِ تَعَالَى بِالمَغْفِرَةِ وَالـرَّحْـمَـةِ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ

قولِه: (واللّه غفورٌ رحيمٌ)؛ للإشعارِ بأنَّ اتِّصافَهُ تعالى بِهَذَيْنِ الوَصْفَينِ دائمٌ ثابتٌ في الأزَلِ، ثُمَّ إنَّ ذلك مِنْ شأنِهِ وعادتِهِ سبحانه أنْ يَغْفِرَ ويرحمَ[1].

بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ في قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

عُـمُـومُ مَـغْـفِـرَةِ الـلـهِ تَـعَـالَى وَرَحْمَتِهِ

قولُ اللّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بعد قولِه سبحانه: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: تذييلٌ جارٍ مجرى المَثَلِ؛ لكونِهِ مستقلًّا بالإفادَةِ، مِن غير افتقارٍ إلى ما قبلَهُ في بيانِ المرادِ مِنْهُ، وفائدتُهُ: تَقريرُ وَعْدِ اللّهِ تعالى عبادَهُ بالأجر العَظِيم وعمومُهُ، ومِنَ الأجرِ العَظِيمِ: أنْ يغفرَ لَهُمْ ويرحَمَهُمْ.

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1823.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»